مقدمة

تعد الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة من أقدم الدراسات اللغوية وأهمها، حيث جاءت الدراسات اللغوية لدى علماء اللغة الأوائل — في معظمها — دراسات تاريخية مقارنة، فقد كانت همم العلماء اللغويين القدماء متوجهة نحو اللغات التراثية والأدبية الراقية، التي أصبحت اللغات المعيارية الفصيحة، تلك اللغات التي تهيأت لها ظروف البقاء وعوامل الاستمرار، لإقبال الأدباء والشعراء والخطباء والزعماء على أنماطها وقوالبها وتراكيبها، فمنحوها بذلك مميزات الارتقاء والسمو عن غيرها من بقية اللغات والمستويات العامية واللهجية.

تمتعت هذه اللغات الأدبية (الفصيحة) لما لها من مكانة راقية بميزة التسجيل والنقش، مما أكسبها القدرة على البقاء والاستمرار. وأطلق عليها العلماء " اللغة المكتوبة" في مقابل "اللغة المنطوقة". ولعل المثل الروماني القائل: " الكتابة تبقى، والكلام يزول. Verba valent Scripta mamet " يؤكد مدى حرص العلماء القدماء واهتمامهم بتلك اللغات المكتوبة، وإقبالهم على دراستها وتحليلها.

ويذكر ماريو باي أنه: وحتى عصر قريب جدا، كانت اللغة المكتوبة تتمتع بميزتين لا توجدان في اللغة المتكلمة:

١- أنها كانت باقية، بينما كانت المنطوقة زائلة.

٢- وكان من الممكن نقلها عبر مسافات بعيدة.

وتأتي هذه الدراسة لتقدم عرضا للمنهج التاريخي ومجالاته في اللغات الإنسانية بوجه عام، واللغة العربية بوجه خاص. للوقوف على التغييرات المختلفة التي أصابت تلك اللغات على اختلاف مستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. وعوامل هذه التغييرات وقواعدها اللغوية التي حددها العلماء.

كما عنيت هذه الدراسة أيضا بالمنهج المقارن، فألقت الضوء على ماهيته وحدود عمله، وجهود العلماء في الدراسات السامية المقارنة، سواء عند العلماء العرب أم عند العلماء المستشرقين، كما ألقت الدراسة الضوء على النماذج والأمثلة المختلفة بين اللغة

العربية واللغات السامية الأخرى على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي، وغيرها من الظواهر والقضايا اللغوية المختلفة.

كما اهتمت الدراسة بالربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات الدرس اللغوي الحديث، وقد تخيرت الدراسة لذلك مبحثين: الأول: حول مفهوم اللغة عند العلماء العرب والنظريات اللغوية الحديثة. والثاني: حول الجهود النحوية عند العلماء العرب والنظريات اللغوية الحديثة.

وبعد... فأقدم هذه الدراسة للقارئ العربي، لتكون حافزا للباحثين والدارسين، للإقبال على الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة، مع الإفادة من معطيات الدراسات اللغوية الحديثة وآليات التحليل النحوي من تقنيات وآلات واختراعات، تمكننا من التوصل إلى النتائج العلمية الدقيقة، والتحليلات المنهجية الدقيقة.

والله الموفق إلى سواء السبيل.

أ. د. حسام البهنساوي

القاهرة: ربيع أول ١٤٣٥هـ

يناير ٢٠١٤م